

كشَفُ الحَقِّاءِ فِي البَيْعَةِ لِعَليِّ الرِّضَا للكُّتُورِ مُحَمَّدِ ضَيْفِ اللُّهُ بِطَانِيهِ (جَامِعَةُ الِيرْمُولِ / الأُرْدُن)

... جعل هارون الرشيد الخلافة من بعده في ولده، ورتبها فيهم
بترتيب البيعة لهم، فعقدوها أولا لمحمد الأمين، ثم عقدها لعبد الله المأمون، ثم
عقدوها للقاسم المؤتمن. فقال بعض الناس : أحكم الرشيد أمر الملك. وقال
بعضهم بل القى بأسهم بينهم (١) .

ولما أدركت المنية هارون الرشيد، نودي بالأمين خليفة للمسلمين،
فبايعوه وبايعه أخوته، وبايعه المأمون الذي كانت إليه أمور خراسان منذ
خلافة والده . إلا أن أيام الصفاء بين الأمين والمأمون لم تدم، واخذت حاشية
كل منهما تزيّن لصاحبها الكيد لأخيه، وأسفرت المحاولات التي كانت
ترمي إلى الإيقاع بينهما إلى إعلان الأمين عقد البيعة بالخلافة
لولده من بعده ، والغاء عقد بيعة أخيه المأمون، ودق طبول الحرب بينهما ؛
ثم اعلان خلع الأمين والدعوة للمأمون بالخلافة في خراسان (٢). وهاجت
الحرب بين الأخوين، وسيقت الجيوش إلى ميادين القتال تباعا، ثم قُتل الأمين،
وخلّص الملك سنة ١٩٨ هـ للمأمون، ومضى يصرف أمور الدولة من مرو،
حاضرة خراسان، وترك بغداد وغيرها من البلدان إلى نظر الحسن بن سهل

١ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ . تحقيق محمد أبو
الفضل ، ١٩٦٦ .

٢ - المصدر نفسه ص ٤٠٤ - ٤١١ .

أخي وزيره ومدبر أمره في خلافة مع الأمين ، الفضل بن سهل .

لم تهدأ الأحوال بعد مقتل محمد الأمين، وظلّت الفوضى قائمة وثورات السخط والغضب تتفجر من بلد إلى بلد، ثم حملت الأخبار قرار المأمون بجعل علي بن موسى ابن جعفر العلوي وليّ عهد المسلمين والخليفة من بعده^٤ وتسميته الرضا من آل محمد، ومطالبة الجند بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة. ثم وردت الكتب بذلك إلى الآفاق، وطلب إلى الولاة أن يأخذوا البيعة له على الناس، وأن يدعوا له على المنابر بعد الخليفة المأمون (٣) . فلما كان ذلك ، أتى بني العباس ما كان يحذرون .

فلماذا أراد المأمون أن ينقل الخلافة من بني العباس إلى عبد المطلب إلى بني علي بن أبي طالب ؟

وهل كان المأمون جاداً في قراره ؟

كانت هذه المبادرة لا مثيل لها في تاريخ العلاقات العباسية - العلوية من قبل. وقد سبق المأمون إليها غيره ممن تقدم عليه من خلفاء بني العباس، ويقول ابن الطقطقي بخصوص ذلك (٤) : « ومن اختراعاته — يعني المأمون — نقل الدولة من بني العباس إلى بني علي، عليه السلام » .

تناولت الأخبار التاريخية « اختراع المأمون » بالتحليل ، وقدمت ما رآته من الدوافع التي أدت إلى اتخاذه، وجعلت المأمون يُقدّم عليه . وسنتناول هذه الأخبار على النحو التالي :

أولاً : الأخبار التي تذكر أن سبب بيعة المأمون لعلي بن موسى يعود

٢ — أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ ، الكندي / ولاية مصر ص ١٦٨ . تحقيق حسين نصار ١٩٥٩ ، ابن العبراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ . تحقيق قسم المخطوطات، لايدن ١٩٧٢ م .

٤ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ طبعة القاهرة ١٩٢٢ .

الى تتوى عليّ وعلمه وورعه وفضله على آل عليّ وآل العباس سواء .

قال أبو جعفر الطبري : « وذلك انه — يعني المأمون — نظر في بني العباس وبني علي ، فلم يجد احدا افضل ولا أورع ولا اعلم منه » . (٥)

وقال المسعودي : « ... إنه نظر في وُلد العباس ووُلد علي، رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته احدا هو افضل ولا أحق بالامر من علي بن موسى الرضا، فبايع له بولاية العهد » (٦) .

وجاء في اخبار مسكويه : « نظر المأمون في بني العباس وبني علي فلم يجد احدا افضل ولا أورع ولا اعلم من علي الرضا، فوله عهده وسمّاه الرضا من آل محمد » (٧) .

ويبدو أن تعيين علي الرضا وليا للعهد لعلمه وورعه وتقدمه في الفضل على بني علي وبني العباس غير مقبول ، إذ يبدو أن هذه الاخبار تحمل في ثناياها دعاوى امامية قد لا يكون المأمون مؤمنا بها، ولا ندرى كيف وقع للمأمون أن علي بن موسى افضل هؤلاء. وقد شك ابن الطقطقي (٨) في اختيار المأمون لعلي بن موسى وليا للعهد لصالح علي، فقال : « إن المأمون قد فُكّر في حال الخلافة بعده، وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرا ذمته ، كذا زعم » .

وقال القمي : لم يكن — يعني المأمون — يرمي الى أن يتم العهد

٥ — أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ .

٦ — المسعودي / مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ . الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٨ .

٧ — مسكويه / تجارب الامم ص ٤٣٦ . مجلد مطبوع ملحق بكتاب العيون والحدائق مكتبة المثنى — بغداد .

٨ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

للرضا (٩) .

ثانيا : الاخبار التي تذكر أن سبب بيعة المأمون لعلي بن موسى يعود الى وفاء المأمون بالنذر الذي نذره على نفسه إن انتصر على أخيه الأمين .

قال الأصفهاني : « قال المأمون : اني عاهدت الله أن اخرجها الى افضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع » وما أعلم أحدا افضل من هذا الرجل » . (١٠)

وساقى القمي حديثا طويلا مفاده : ان المأمون عيّن علي بن موسى خليفة من بعده وفاء لما عاهد الله عليه إن نصره على أخيه الأمين ، وافضت الخلافة اليه ، أن يضعها في موضعها الذي وضعه الله تعالى . فلما تم الأمر للمأمون ، لم ير أحدا احق بالخلافة من أبي الحسن علي الرضا (١١) .

وتبدو بوضوح ، من خلال ربط النصر بالنذر ، ميل رواة الخبر الشيعة ؛ وهذا مما لا يقوم به سبب مقنع في اختيار المأمون عليا لولاية العهد وجعل مسير الخلافة محكوما بالنذور .

ثالثا : ذكر القفطي (١٢) في اخبار الحكماء أن المأمون لما رأى آل علي بن أبي طالب متخشين متخفين من خوف أبي جعفر المنصور ومن جاء بعده من الخلفاء من بني العباس ، ورأى العوام قد خفيت عنهم أمور العلويين بالاختفاء ، فظنوا بهم ما يظنون بالانبياء ويتفوهون في صفتهم ما يخرجهم عن الشريعة من التفالي ، فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ، ثم فكر أنه إذا

٩ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط - دار الكتب القاهرة رقم ٢٢١٢ .

١٠ - الأصفهاني / مقال الطالبين ص ٥٦٢ طبعة القاهرة ١٩٤٩ .

١١ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٨ ، ١٨١ مخطوط .

١٢ - القفطي / اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٤٩ - ١٥٠ ، دار الكتب الخديوية / القاهرة - الطبعة الاولى .

فعل هذا بالعوام زادهم اغراء به، فنظر في هذا الامر نظرا دقيقا، ورأى أن يقدم احد العلويين للحكم ويظهرهم للناس، فيرى الناس فسق الفاسق منهم وظلم الظالم، فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء، فيسقطوا من اعين الناس وينقلب شكر الناس لهم ذمّا .

وأورد القمي خبرا شبيها بالذي أورده القفطي ، قال القمي : « إن المأمون جعل لعلي بن موسى ولاية العهد من بعده . . ليرى الناس رغبته في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم » (١٣) .

وقد يكون ما أورده القمي والقفطي سببا لقصة البيعة لعلي بن موسى، لا يعدو أن يكون تفسيرا منهما لقضية البيعة. وإلا فإن علي بن موسى لم يكن إماما لكل العلويين (١٤) وإنما كان إماما لفئة منهم. وعندما قامت ثورات العلويين في البصرة والكوفة والمدينة ومكة واليمن (١٥)، لم تختصر واحدة من هذه الثورات علّيا رئيسا لها، وإنما اختارت غيره، وإذا كان المأمون أراد بفعلته أن يفضح العلويين المتخفين ويكشفهم أمام المخدوعين بهم ويمزق استار القداسة المضروبة عليهم، فإن المأمون يكون قد فاته هذا الغرض، لأن الناس خبروا الذين ثاروا من العلويين وصارت اليهم مقاليد الامور، وعرفوا ما كان منهم من خير أو شر ، واطمأنوا الى ذلك فقد قيل في علي بن موسى إنه لم يكن له من امور الحكم شيء .

رابعا : قيل إن المأمون كان يتشيع للعلويين، وقد حمّله افراطه في التشيع على مبايعة علي بن موسى بولاية العهد .

١٣ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

١٤ - انظر محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٨ ، ٩ . مخطوط .

الحسن التوحيدي / فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة استنبول ١٩٣١ م .

سعد القمي ، المقالات والفرق ص ٨٩ . طبعة طهران ١٩٦٣ .

١٥ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٢٨ - ٥٤٤ .

قال القمي : « قال المأمون اتدرون من علّمني التشيع ... علمنيّه
الرشيد ٥ قيل له وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال كان
يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم » . (١٦)

وذهب الى ذلك السيوطي قال : « وجعل — المأمون — ولي العهد
من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حمله على ذلك
امراطه في التشيع حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر
اليه » . (١٧)

وبخصوص هذا التشيع الذي رمي به المأمون، فيبدو ظاهره المتمثل
بالبيعة لعلي بن موسى متهوما ومتهوما باطنه كذلك ، لما روي عن علي بن
موسى أنه كان يحدث أصحابه الذين يثق بهم عن المأمون وأحاديثه في إمامة
علي بن أبي طالب وتفضيله عن سواه، ويقول لهم : « لا تغتروا منه بقوله،
نما يعتلي والله غيره » (١٨)

ويحدثنا ابن عبد ربه عن المأمون أنه سأل علي الرضا عن سبب
دعواهم أمر الخلافة، فلما أجاب علي أن ذلك كان بقرابة علي بن أبي طالب
وفاطمة من الرسول عليه السلام، قال المأمون :

« إن لم يكن هاهنا إلا القرابة فقد خلف رسول الله من أهل بيته
من كان أقرب اليه من علي أو من في مثل تعدده — نسبه — وان كان بقرابة
فاطمة من الرسول، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في
هذا الأمر حق وهما حيّان ؛ فإذا كان الأمر كذلك، فإن عليا قد ابتزها حقهما
وهما صحيحان، واستولى على ما لا يجب عليه » (١٩)

١٦ — القمي / عيون أخبار الرضا ص ٣٤ مخطوط .

١٧ — السيوطي / تاريخ الخلفاء ص ٢٠٧ . الطبعة الأولى ١٩٥٢ م تحقيق محمد محيي الدين .

١٨ — القمي / عيون أخبار الرضا ص ١٩٦ مخطوط .

١٩ — ابن عبد ربه / العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٥ . الطبعة الثانية ١٩٥٦ م .

وهذا دليل ، ان صحت هذه الروايات ، على ان المأمون لم يصدر فيها
اتخذة عن نفس مطمئنة بالتشيع للعلويين .

واضافة الى ذلك فان القفطي يذكر ان المأمون كان ينوي، بعد قضاء
غرضه من البيعة لعلبي بن موسى، ان يرد الأمر الى حالته الاولى . (٢٠)
يتضح مما سبق ان المأمون لم يكن جادا في البيعة لعلبي بن موسى
واتمامها له، وانما يبدو ان في الأمر لسرا ، وان البيعة لا تخلو من غرض، وقد
يجلبها لنا تتبع الاحوال العامة التي واكبت حادثة البيعة، والخاتمة التي
انتهت اليها .

اما فيما يتعلق بالاحوال العامة فلا يمكن إغفال الخلاف الذي دار بين
الامين والمأمون، والاطراف التي شاركت فيه وصنعت رغبة منها بالسلطان
والاستبداد به وتعزيز تسلطها والانفراد به ؛ وقد صار قتل الامين وقيام
المأمون بأمر الخلافة انتصارا ضمنيًّا للاتجاه الذي كان يقف وراء المأمون،
ويتستر به، ويقف الفضل بن سهل واعوانه على راسه ، وهزيمة للاتجاه
الثاني الذي كان يقف وراء الامين ويراسه الفضل ابن الربيع .

إلا ان بقاء المأمون في مرو، حاضرة خراسان، بعيدا عن بغداد دار خلافة
آبائه ، اعطى من حوله مركزا افضل، وعزز موقعهم في الدولة، وصار لهم
القول والفصل في امور الدولة ومصالح الناس، وفاز الفضل بن سهل
بالنصيب الاوفى من ذلك، فصارت اليه الرياستان — الحرب والتدبير — وله
مرتبة من يقول فيسمع منه . (٢١)

كان ذلك تعديا على سلطان الخليفة المأمون، مارسه هؤلاء من خلال
الدالة التي اوجبوها على المأمون، الذي يقيم في خراسان بين انصاره — من

٢٠ — القفطي / اخبار العلماء بلغبار الحكماء ص ١٥٠ .

٢١ — الجهشيري / الوزراء والكتّاب ص ٢٠٥ — ٢٠٦ الطبعة الاولى ١٩٢٨ مكتبة البابسي
العلبي / القاهرة .

أخواله الذين ساقوا اليه الخلافة بتدبير عقولهم وحدّ سيوفهم ، وقد ضُخِّمت
الدعاية والاعلام مدى ما وصل اليه هؤلاء من النفوذ، حتى قيل إن المأمون
وقع تحت نفوذ الفضل بن سهل، وإن الفضل قد استولى عليه (٢٢) وصار
ما يُكرّم من أمر ويتّخذ من قرار تنسبه الأوساط العامة والخاصة في بغداد
غالبا الى الفضل بن سهل ، وقد يكون من هذا القبيل ما تُسبب الى الفضل
ابن سهل من شعر يذكر فيه فضل أهل خراسان على المأمون ونصرتهم
له في سوق الملك اليه، قال : (٢٣)

ان مأمون هاشم أصله مك عة منها آباؤه وجدوده
غير أنا نحن الذين غفونا • بماء الملا فأورد عوده
من خراسان اتبع الأمر فيهم وتوشّيت للناظرين بروده
قد نصرنا المأمون حتى حوى الملك ففينا طريفه وتليده
مثلنا لا يراه ما برق الصب ح وثقّ الظلام منه عوده
ويبدو أن هذا الشعر قيل على لسان الفضل لاثارة الشك في نفس
المأمون، وتحريضه على من حوله واستعدائه على وضعه بخراسان .

وإذا أضفنا الى تسلّط أعوان المأمون من خلال الدالة عليه ، صدى
قتل الأمين واستنكار أهل بغداد ، بخاسة ، ذلك ، وتوجيه اللوم الى
المأمون (٢٤) ، تبين لنا مقدار الضيق والعنت الذي كان يواجهه المأمون في
إقامته بمرور .

٢٢ - ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا
ص ١٧٥ ، ١٨٥ مخطوط .

٢٣ - المزياني / معجم الشعراء ص ١٨٢ .

٢٤ - لكر الجهشيارى أن الفضل بن سهل قال لما قتل طاهر بن الحسن الخليفة الأمين : ما
فعل بنا طاهر ؟ سلّ علينا سيوف الناس والسنتهم . انظر : الجهشيارى / الوزراء
والكتاب ص ٣٠٤ .

ثم استغلّ العلويون الفرصة، واشعلوا الثورات في المدن المختلفة من العراق والحجاز واليمن ؛ كذلك واصل الاتجاه المعارض للمأمون والذي كان مؤيدا للأمين، نشاطه وتجرا من اختفى من رجاله، مثل الفضل بن الربيع أيام قتل الأمين على الظهور والانضمام الى صف المعارضة، وتحذوا الحسن ابن سهل، ممثل المأمون في بغداد، ووقعت الحرب بين الجانبين. وقد تمكنت المعارضة في فترة تالية من طرد الحسن وطرد عماله . (٢٥)

فما عسى المأمون يفعل ازاء ما كان يجري حتى يعيد للخلافة قوتها ونفوذها، وتصبح قادرة على مباشرة صلاحياتها، وكفّ الاعتداء على سلطاتها ؟

تذكر الاخبار ان المأمون في غمرة الاحداث الجارية انفذ من خراسان رجلين من اهل ثقته، هما رجاء بن أبي الضحاك وفرناس الخادم، وامرهما ان يأتيا المدينة المنورة، ويحضرا علي بن موسى بن جعفر ؛ فلما احضراه ، عقد المأمون البيعة بالمعهد له (٢٦) ، واعلن ذلك في الافاق .

ويبدو من صدور قرار المأمون في الظروف الالفة الذكر ما لا يدع مجالا للشك في ارتباط هذا القرار بما كان يجري من حول المأمون، وعلاقته بالموقف السياسي آنذاك . لذلك سنتابع التطورات التي طرات بعد اعلان البيعة لعلي بن موسى، لما لها من دور ايجابي يُعَيَّن على توضيح غرض المأمون ومغزاه من البيعة لعلي، وسنتناول في مجرى التطورات موقف الفضل بن سهل واهل بغداد، باعتبارهما يمثلان اتجاهين رئيسيين متعارضين في الخلاف

٢٥ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٨ .

٢٦ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٤٨ ، دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٤ .

ابن العبراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

ابن الاثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ . المكتبة التجارية / القاهرة ١٣٥٧ هـ

تحقيق عبد الوهاب النجار .

ومما يلفت النظر أن مقرّ الخلافة ، وأين يكون ، كان واحداً من أبرز مسائل الخلاف بين الاتجاهين، واعطاء كل جانب أهمية كبيرة في اتجاه تقرير مصير الخلاف . ويبدو أن الفضل بن سهل رأى أول الأمر أن البيعة لعلّي ابن موسى تخدم غرضه في بقاء المأمون في مرو بعيداً عن بغداد، لذلك أظهر رضاه عن البيعة. وهو ما يفسر لنا الروايات التي تذهب إلى القول بأن الفضل بن سهل زينّ للمأمون البيعة لعلّي بن موسى الرضا (٢٧) .

أما فيما يتعلق بأهل بغداد فقد تلقى أغلبهم إعلان البيعة بالسخط والانتكار، وكان بنو العباس أشدهم في ذلك نكراً ، واتهموا الفضل بن سهل بحمل المأمون على اتخاذ القرار، ونعتوا الفضل بالمجوسي ابن المجوسي، وقالوا فيه إنه يحتال في جعل الملك كسروياً، وأنه زينّ اتخاذ لباس الخضر، وهي لباس كسرى والمجوس ، فأدار العباسيون في بغداد الأمر بينهم وأعلنوا خلع المأمون والبيعة لأبرهيم بن المهدي (٢٨) .

أخذت ردود الفعل تبلغ مسامع الفضل بن سهل ، فأسقط في يده ، وصارت تسيأوره المخاوف والشكوك ، وبدأ يلمس خطورة قرار البيعة الذي اتخذته المأمون عليه ، فصار يحاول جاهداً تعمية الأخبار على المأمون ومنع وصولها إليه، وينزل صنوف العذاب بمن يبلغه عنه أنه دخل عند المأمون بهذا الوجه ، وقد اتهم بقتل القائد المشهور هرثمة بن أعين الذي قيل إنه

٢٧ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ . ابن بابويه القمي / عيون

أخبار الرضا ص ١٧٥ مخطوط . ابن الأثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ .

ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

٢٨ - انظر من أجل ذلك : الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢١٢ - ٢١٣ .

أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ .

جاء من بغداد الى المأمون في مرو ليطلعه على حقيقة ما يجري من الشكوى ضد الفضل بن سهل وأعوانه ، وما يخوض الناس فيه، وليردّه السى بغداد . (٢٩) كما اخذ الفضل يتغيّر لعلي بن موسى ويقيم عليه المراسد للوقوف على اخباره (٣٠) .

أما فيما يتعلق بعليّ بن موسى فان الاخبار تشير الى انه كان قد أوجس خيفة من مراودة المأمون اياه على البيعة له، وانه اقتيد الى ذلك اقتياداً، فيذكر القمي انه لما اراد المأمون علي بن موسى على البيعة اعتلّ علي بعلل كثيرة (٣١)، ويقول ابن العمراني إن علي بن موسى قال للمأمون: يا أمير المؤمنين : إن هذا الأمر لا يتم، فاعفني، فلم يُعفِه (٣٢) . وكان علي ابن موسى يشعر بالضيق خلال وجوده في مرو مع المأمون والفضل بن سهل، وتفتابه حالة من الشك والقلق، وتستبد به الظنون، وكُثِرَ ما نسب اليه سؤال المأمون بالرجوع الى بغداد تخلّصاً مما يجري (٣٣) .

أما المأمون فقد ظل يرقب ردود الفعل، وينظر درجة التطورات التي وصلت اليها ، فلما اطمأن الى رغبة القادة الملحة من حوله في العودة الى بغداد ، وضعف مركز الفضل بن سهل وأعوانه ، الى حدّ وضعه في قفص الاتهام وتجريمه ، ونظرة اهل بغداد الى اقامة الخليفة بينهم نظرة المتمني، وبرمهم بالفوضى التي عموا بها ، وخوف بني العباس من انتقال الملك عنهم خوفاً أنسأهم قتل الأمين ، أعلن الرحيل من مرو خراسان صوب بغداد .

٢٩ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٢ - ٥٤٣ .

ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

٣٠ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٩ . ومواضع متفرقة - مخطوط .

٣١ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط .

٣٢ - ابن العمراني / الإنباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

٣٣ - مسكويه / تجارب الامم ص ٤٤١ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٢

مخطوط . أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٦٤ .

تقدم الفضل بن سهل الى المأمون ينصحه بالعدول عن الرحيل ،
ويعرض عليه موانع ذلك ، ويذكره بقتل اخيه الامين ومعاذاة اهل العراق له ،
والبيعة لعلي بن موسى ، وازالة الخلافة عن بني ابيه بني العباس وتغيير
قلوبهم له ؛ ولكن المأمون اعرض جانبا عن نصائح وزيره ، وطلب اليه ان
يستعدّ للرحيل معه الى بغداد . فلما رأى الفضل بن سهل ان المأمون جاد في
الامر . اعتذر الفضل الى المأمون عن المسير معه وقال :

« يا امير المؤمنين إن ذنبي عظيم عند اهل بيتك وعند العامة ، والناس
يلومونني بقتل اخيك المخلوع وبيعة الرضا ، ولا آمن السعاة والحساد واهل
البيهي ان يسمعوا بي ، قد عني اخلفك بخراسان » . فلم يوافق المأمون ، واعلمه
عدم استغفائه عنه وليس من هناك الا الثقة المأمون الناصح (٣٤) .

ويبدو ان ليس ادل على مدى التوفيق الذي بلغه المأمون في البيعة
لعلي بن موسى من هذا الحال الذي صار اليه الفضل بن سهل من ضعف
الحول وقلة الحيلة . فلما بلغ المأمون ببعض الطريق . قيل في سرخس ،
« قتل الفضل بن سهل وفاته المأمون بقتله » . (٣٥) وقيل ان القتلة قالوا للمأمون
عند مثلهم بين يديه : انت امرتنا بقتله (٣٦) .

ولما بلغ المأمون مدينة طوس . مات علي بن موسى . قيل في اكثاره
من اكل العنب (٣٧) وقيل في السم (٣٨) وقيل اعتلّ اسابيع ومات (٣٩) .

٢٤ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٤ مخطوط .

٢٥ - المصدر نفسه ص ١٨٤ .

٢٦ - ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٢ .

٢٧ - المسمودي / المروج ج ٤ ص ٢٨ .

٢٨ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٢ .

الاصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٥٦٦ - ٥٦٧ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

٢٩ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٢ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

وتقدم المأمون نحو بغداد يزفّ نفسه اليها، بلا الفضل بن سهل، وبلا علي بن موسى ، ففتحت بغداد ذراعها له، وكان لسان حالها :

جعل الله قدومك يا أمير المؤمنين ، مفتاح رحمة لك ، ولمن قدمت عليه
من رعيتك ؛ فقد أشرقت البلاد حين حلت بها ، وآنس الله بقربك أهلها ،
ونصبت الرعية اليك أعينها ، ومدت الى الله فيك ولك أيديها ، لتصيب
من مقدمك عدلا يحبسها ، ومن نيل يدك فضلا يغنيها . (٤٠)

ومكث المأمون أياما ببغداد، قتل ثمانية وهو يلبس لباس الخضر، ولم يكن أحد يجترئ أن يلبس شيئا من لباس السواد؛ فلما رأى طاعة الناس له، طرح لباس الخضر وأمر بلباس السواد، وعمّ الناس بعفـسـه واحسانه (٤١)، ولم يعد الى تعيين ولى عهد علوى آخر .

وهكذا نرى تعيين علي بن موسى خليفة من بعد المأمون كان خطة ذكية، وعملا جريئا لتخليص الدولة من حمى الاتجاهات والأغراض السياسية المتضاربة، وانقاذ الموقف السياسي المضطرب، ولم يكن عملا جادا لنقل الخلافة عن بني العباس الى آل علي .

الدكتور محمد ضيف الله البطاينه

٤٠ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطار الحسيني ،

٤٠ و ٤١ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطاوع الحسيني ،